لأنَّ الوقت قريبٌ...

سلسلة تفسير سفر الرؤيا، الجزء الثاني (ب)

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

يمكننا أن نكون أكيدين تمامًا في ما يخصُّ مسائل الإيمان التي تُنقَلُ إلينا من خلال كلمة اللّه، بوساطة الكتاب المقدَّس. فما دام اللّه هو مَن يقول ذلك، والإنجيل يقول ذلك، والمسيح يقول ذلك، نحن لا نناقش الأمر. "تحبُّ الربَّ إلَهك" (متّى 12: 30) – لستُ أنا مَن يقول ذلك، بل اللّه. قد أُخطِئ أنا في ما أقول، ويمكنكم مجادلتي. أنا إنسانٌ، ومن المرجَّح أن أخطئ. علينا جميعًا أن نُقرَّ بأنَّنا نرتكب الأخطاء. ولا تتفاجأوا حين يرتكب أحدُهم خطأً ما، لا شيء مفاجئٌ في ذلك. فالطبيعة البشريّة غير مثاليّة، لذا فإنَّ مِن سماتها ارتكاب الأخطاء والهفوات والوقوع في الخطيئة.

يمكن تمييز عبيد اللّه الحقيقيّين من نقاوة قلبهم وتواضعهم (ختمُ الحقيقة هو التواضع). وعندها يقبل الإنسان ما يقوله اللّه ويتلقّى الكشف الإلهيَّ بقلبٍ نقيٍّ ومتواضع. أعطى اللّه إعلانًا ليسوع المسيح ليُريَ عبيده ما هو مزمعٌ أن يقع عمَّا قريب. وقد يقول قائل: "إذًا، فكلُّ ذلك سيقع. لمَ علينا أن نكون على درايةٍ بوقوعه؟ كيف سنُقاوم الأمر؟ قد يأتي غدًا اليوم الذي يبدأون فيه بختم الناس بختم ضدّ المسيح، الرقم 666، وكلُّ مَن لا يحصل على هذا الختم لن يتمكَّن من القيام بأيّ شيء – لا البيع ولا الشِّراء ولا التنقُّل... هذا سيبدأ في كلّ الأحوال. فماذا يُفترض بنا أن نفعل؟ أنُقاتل؟ أنُقاوم؟".

هذا كلُّه سيقع، ولكن يجب ألّا نُطأطئ رؤوسنا ونكونَ كغنمٍ للذَّبح (إشعيا 53: 7)؛ يجب ألّا نقبل بهذا كلِّه من دون اكتراث. جميعُنا مسؤولون عن أنفسنا، ومن المهمّ لنا أن نحفظَ ضميرنا، وألّا نقبل بما هو غير صالحٍ وفقًا لتعليم الإنجيل المقدّس والكتاب المقدَّس. إنّ كون هذا سيحدث حتمًا لا يعني أنَّ علينا قبوله كلَّه بكلِّ بساطة.

وطبعًا هذا لا يعني أنَّ أولئك الذين يتَّخذون إجراءً ما هُم أدواتٌ بين يدَي اللَّه، ولنا في أزمنة الاضطهاد خير مثالٍ على ذلك. فقد وقعت اضطهاداتٌ في القرون الأولى من عُمر الكنيسة: اضطُهِدَ المسيحيّون وعُذِّبَ ملايين الناس خلال القرون الثلاثة الأولى، وقُتِلَ نيرون آلاف المسيحيّين. ولكنَّ قتله الكثير من المسيحيّين وامتلاء الفردوس بالقدّيسين لا يعنيان مطلقًا أنّ نيرون كان أداةً تستخدمُها عناية اللَّه، وأنَّه سيذهب إلى الفردوس. كلّا، لقد ملأَ الفردوسَ بالشُّهداء، ولكنْ هو نفسُه سيذهبُ إلى الجحيم نتيجة قتلهم. إنَّ مَن يعملون أعمالَ إبليس ويرتكبون أفعالًا شرّيرةً ليست من اللَّه لا يتبرَّرون بحجّة أنَّهم يخدمون خلاص الآخرين ويُسهمون في عملِ العناية الإلهيّة.

كثيرون يتساءلون: "علامَ يُلامُ يهوذا؟ ففي نهاية المطاف، سبقَ التنبّؤ بتعرُّض المسيح للخيانة، وقد نفَّذَ يهوذا خطّة اللَّه بدقّة. فبماذا أذنبَ هذا المسكين؟". ولكنَّ الأمر ليس كذلك. لم يقُم يهوذا بذلك لأنَّه كان أمرًا مُخطَّطًا له. ولا معناه أنَّه ما دامَت هذه النبوءة قد دُوِّنَتْ منذ سنواتٍ خلَتْ، فيجب أن تتحقَّق؛ بل بالأحرى، النبوءة مُدوَّنةٌ **لأنَّ** يهوذا خان. لقد سبقَ أن أُخبِرَ بذلك. أُعطيَت النبوءات لأنَّ أحداثًا معيَّنةً ستقع، وليس العكس، أي أنّه إذا كانت هناك نبوءةٌ فلا بُدَّ من أن تتحقَّق. وأولئك الّذين يشاركون في ما سبقَ الإنباء به ويرتكبونه يتحمَّلون مسؤوليّةً كاملةً عن أفعالهم. أولئك الّذين سيُدمِّرون الكونَ غدًا ويدفعون بهذا العالم نحو نهايته سيكونون مسؤولين عن ذلك. لا يمكن القول إنَّهم تمَّموا مُخطَّط اللَّه. أنتم مسؤولون عن جرائمكم والشُّرور الّتي ترتكبونها. والأنبياء سبقوا فرأوا ذلك بكلّ بساطة.

أريدكم أن تكونوا فطِنين في فهم ما يختصُّ بنبوءات اللَّه. لا يحدِّدُ اللَّه ما سيحصل؛ بل بالأحرى، بما أنَّه سيحصل، فإنَّ اللَّه يسبقُ فيُخبِر الناسَ به ليمنعهم من اتِّباعه ويحميَهُم. حاولَ المسيح إيقاف يهوذا عدَّة مرّاتٍ عن ارتكاب هذا الشرّ، كما نعلَمُ من الإنجيل، لكنَّ يهوذا أراد فعل ذلك. إنَّه مسؤولٌ عن هذا وعن كيفيَّةِ إنهائه لحياته.

إذًا، إنَّ القول "لا بدَّ أن يكون عن قريب" (رؤيا 1: 1) يعني أنَّ هذا سيقع، ولهذا كُتِبَ عنه. إلّا أنّ الّذين سيُشاركون في ارتكاب هذا الشرّ سوف يتحمَّلون كامل المسؤوليّة.

"عن قريب": ما معنى هذا؟ هل سيحدث كلُّ شيءٍ في غضون يومٍ واحد؟ علينا أن نعيَ أنَّ اللَّه خارج الزمن، وأنَّ أحداثَ سفر الرؤيا لا تتعلّقُ بالأزمنة الأخيرة فحسب. يُصوِّرُ السِّفر أحداثًا كانت قد وقعَتْ بالفعل عندما

قام القدّيس يوحنّا الرسول بوصفها، ويصوِّر أحداثًا ستقع لاحقًا. لطالما عاشت الكنيسة على رجاء القيامة من بين الأموات في اليوم الأخير. وسنقرأ [لاحقًا في هذا السِّفر]: "تعالَ أيُّها الربُّ يسوع" (رؤيا 22: 20). تحيا الكنيسة على رجاء مجيء المسيح، رجاء مجيء ملكوت اللّه. ونقول في صلواتنا: "ليأتِ ملكوتك" (لوقا 11: 2). ونطلب ملكوت اللّه داخل قلوبنا كما بصورةٍ عامة. كلُّ شخصٍ في الكنيسة ينتظر مجيء ملكوت اللّه، وموعد حدوث هذا ليس معروفًا. ومهما بذلنا من جهدٍ لمعرفة المواقيت النهائيّة، فلن ينفع ذلك؛ لن يُخبرنا اللّه بها مطلقًا، لأنَّه لا يريد التصرُّف وفقًا للفضول البشريّ، بل بطريقةٍ مختلفةٍ تمامًا.

"وبيَّنَه مُرسِلًا بيدِ ملاكِه لعبدِه يوحنّا" (رؤيا 1: 1). أظهرَ اللّه هذا كلَّه لعبدِه يوحنّا من خلال ملاك. كان يوحنّا خادمًا أمينًا للّه، خادمًا متواضعًا ونقيًّا وبلا لومٍ، ويتمتّع بكلِّ ما هو ضروريٌّ لكي يتلقَّى المرء رؤيا إلهيَّة. "الّذي شهدَ بكلمةِ اللّه وبشهادةِ يسوعَ المسيحِ بكلِّ ما رآه" (رؤيا 1: 2). شهِدَ الرسول والإنجيليُّ يوحنَّا بما رآه، وبما شعر به، وبما اختبره مع المسيح وعن كلمة اللّه.

ثمَّ يقول: "طوبى للّذي يقرأُ وللّذين يسمعون أقوالَ النبوَّةِ ويحفظون ما هو مكتوبٌ فيها لأنَّ الوقتَ قريب" (رؤيا 1: 3). هذا يعني أنَّ سفر الرؤيا دُوِّنَ ليقرأه الناس. "طوبى للّذي يقرأ". مغبوطون وفرحون أولئك الّذين يقرأون سفر الرؤيا والكتاب المقدّس ويدرسونه، وأولئك الّذين يُصغون إلى التعليم وتفسير أقوال هذه النبوءة. وبالتالي، لا ضَير في قراءة النبوءة، يكفي أن نقوم بذلك بطريقةٍ صحيحة: بروح الاتّضاع والتلمذة، بناءً على تفاسير آباء الكنيسة القدّيسين، وبغايةٍ واحدةٍ هي حفظُ ما هو مكتوبٌ في السِّفر. لا ينبغي أن نقرأ بغرضِ إرضاء فضولنا، كالناس الذين يحبّون قراءة الأبراج ليعرفوا ماذا عليهم أن يفعلوا اليوم وغدًا. بعضُ الناس، وهم في الغالب أناسٌ جدّيّون في الحياة، لا يستطيعون العيش من دون قراءة برجهم. إنَّه لأمرٌ جديرٌ بالاهتمام كيف أنَّ الصُّحف المختلفة تكتب عن الأبراج أمورًا متباينةً ولا تتّفق في ما بينها، وعليكم أن تختاروا أيَّة واحدةٍ تقرأون. هذا هراء!

"لأنَّ الوقتَ قريب". قد تقولون: "يا أبانا، قد مضَتْ ألفا سنةٍ إلى الآن ولم تحُلَّ النهاية". بالطبع، لم تأتِ النهاية بعد، وقد تمضي ألفا سنةٍ أخرى ولا تأتي، ولكن من المؤكَّد تمامًا أنّها ستأتي. أكان ذلك بعد خمس أو عشر سنين أو مائة ألف سنة، إنّها ستأتي. لا شكَّ في ذلك. قد لا تعيشون إلى ذلك الحين، ولكن ستأتي ساعةٌ تغادرون فيها هذا العالم. لذا فمن الضروريّ أن تقرأوا ما هو مكتوبٌ في سفر الرؤيا وتحفظوه، لا لأنَّكم ستُعاينون ذاك اليوم بشكلٍ شخصيٍّ بالضرورة. سيعيشُ البعض ليَروا ضدَّ المسيح ويلتقوا به، ويُعاينوا كلَّ ما هو

مكتوبٌ في السِّفر. وأمَّا نحن الّذين لن نعيشَ في تلك الأزمنة على الأرجح، فلا بدَّ من أن نختبر أحداثًا مختلفةً كلَّ يوم، وأن نُميّز منها ما هو مِن روح ضدِّ المسيح، وما هو ناتجٌ من كسر الوصايا، ومن الخطايا، ومن إنكار اللَّه. تجري حولنا أحداثٌ كثيرةٌ تتحدّانا وتدفعُنا إلى عصيان وصايا اللَّه.

حين نبلغ نهاية حياتنا، أي نهايتنا البيولوجيّة، سنجِدُ أنفسَنا في مواجهة كلِّ ما فعلناه وفكَّرنا فيه. لسوء الحظّ (أو ربّما لحُسن الحظّ)، سواءٌ أشئنا ذلك أم أبَينا، فإنّ لحياتنا حدُّها... نهايتها. وسنبلغ هذه النهاية في يومٍ من الأيّام. أحيانًا، يحصل ذلك مُبكرًا؛ وأحيانًا أخرى، يحصلُ في وقتٍ لاحق، لكنّ النهاية ستأتي في الحالتين كلتيهما. "لأنّ الوقت قريب". يمكن أن يُحاجج المرءُ بأنَّنا لن نعيش لنرى ضدَّ المسيح، لكنَّ ساعة مغادرتنا هذه الحياة ستأتي، حين سنمثُلُ أمام اللَّه ونرى ما فعلناهُ وما لم نفعله. يجب ألّا نعيش في خوفٍ وضيق. لم يُكتب سفر الرؤيا والإنجيل لترهيبِنا وإرغامنا على الإيمان باللَّه خوفًا. ومن الخطأ أن نؤمن باللَّه من منطلق الخوف. كُتبت الأسفار لكي نحبَّ اللَّه ونؤمن به حقًّا بمحبّة، لأنَّنا نرى في تلك الأسفار كيف أن اللَّه يحبُّ العالم، وأنَّه أعدَّ لنا أن نحيا معه في الأبديّة. يدعونا اللَّه إلى الملكوت الأبديّ وإلى المجيء الأبديّ لمحبَّته.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2024). Blessed is He that Readeth. *Revelation: Removing the Veil,* Part 3A. Retrieved online from *OrthoChristian*.